

## الفصل الحادي عشر

### عواصم مصر الإسلامية



## عواصم مصر الإسلامية

كان من الطبيعي بعد الفتح الإسلامي لمصر أن يصطبغ كل شيء فيها بالصبغة العربية الإسلامية ، وأن تتحول مصر من ولاية بيزنطية إلى ولاية إسلامية في مظهرها وجوهرها .

وكان من أهم مظاهر هذا التغيير ما طرأ على بناء وتشبيد المدن الإسلامية ، ومثال لذلك بناء مدينة الفسطاط على يد عمرو بن العاص سنة ٢١هـ/٦٤١م ، وبناء العسكر خلال العصر العباسي ، وبناء القطائع ، ثم الجيزة ثم حلوان والعباسة والقاهرة وغيرها .  
بناء الفسطاط :

أسس القائد العربي الفاتح عمرو بن العاص مدينة الفسطاط بعد فراغه من فتح مدينة الإسكندرية الفتح الأول<sup>(١)</sup> ، وعن سبب بناء الفسطاط يقول ابن عبد الحكم : " أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية رأى بيوتها وبنائها مفروغا منها ، فهم أن يسكنها ، وقال : مساكن قد كفيناها ، فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستأذنه في ذلك ، فسأل عمر رضي الله عنه الرسول : هل يحول بيني وبين المسلمين ماء؟ ، قال : نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل ، فكتب عمر رضي الله عنه إلى عمرو إني لا أحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف ، فأتجه عمرو من الإسكندرية إلى الفسطاط"<sup>(٢)</sup> .

وقد تعددت آراء المؤرخين حول لفظ فسطاط الذي أطلق على العاصمة الجديدة ، ويذكر الجواليقي أن لفظ فسطاط فارسي معرب<sup>(٣)</sup> ، والأصوب أن هذا اللفظ مشتق من اللفظ اليوناني فساتن . ذلك اللفظ الذي اشتق من اللفظ اللاتيني " *fassatum* " الذي كان يطلقه الرومانيين على معسكراتهم الحربية ، وكانت كلمة فسطاط شائعة في أرجاء الإمبراطورية البيزنطية بالنسبة للمعسكرات والحصون وليس في مصر فقط<sup>(٤)</sup> .

(١) المقرئبي: الخطط ، ج١ ص ٢٨٦

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٩١

(٣) الجواليقي : المعرب من الكلام الأعجمي ، ص ٢٤٩

(٤) بئر : فتح العرب لمصر ، ص ٢٥٠ ، مصطفى الغبادي : ابن عبد الحكم ومصر عند الفتح العربي ، مقال بالمجلة التاريخية ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٥م ، ص ٩٤

وسميت كذلك نسبة إلى فسطاط عمر؛ أي خيمته التي تركها في ذلك المكان عندما أراد التوجه صوب الإسكندرية بعد فتح حصن بابلون ، إذ وجد يماما قد فرخ فقال عمر: "لقد تحرم منا بحرم" ، وأقر فسطاطه كما هو وأوصى به صاحب القصر ولما عاد المسلمون من الإسكندرية قالوا: "أين نزل؟" ، قال: "الفسطاط" ، أي لفسطاطه الذي كان خلفه<sup>(١)</sup> ، واسم فسطاط كان موجودا قبل تأسيس الفسطاط ، وقد احتفظ العرب بتلك التسمية بعدما احتلوا حصن بابلون<sup>(٢)</sup>.

أما عن موقع الفسطاط فإن موقعها يدل على نظرة صائبة من قبل العرب ، إذ يمتاز موقع هذه المدينة بتوسطه بين مصر السفلى والعليا ، وله عدة مزيا سياسية وتجارية وحربية ، ويذكر "أن حصن بابلون الذي يقع قريبا من موقع منف كانت فيه إحدى الحاميات الثلاث في مصر"<sup>(٣)</sup> ، وأثبتت الحفريات أنها قامت على كتلة عظيمة من الصخر تشمل هضابا وديان<sup>(٤)</sup> ، وكان وجودها على هذه الرتبة يمنع فيضان الماء عليها ، وكانت هذه الرتبة مغطاة في وقت ما بأحجار كبيرة جدا فكسرت وسويت<sup>(٥)</sup>.

وكان جانب المدينة الشرقي جبليا ، يتكون من جبال حجرية غير عالية كالتلال ، وكانت تبدو حين ينظر إليها من بعيد كأنها جبل<sup>(٦)</sup> ، وبهذا تحققت لها الحماية الطبيعية ، ومن الناحية الحربية كان وجود الفسطاط على رأس الدلتا قد جعلها في مأمن من هجمات العدو ، فيحميها من الشرق جبل المقطم ضد العدو وضد فيضان النيل ، كما كان لها جانب يمكن أن يضطرر اتساعها منه ، وهو الشمال ، وبنيت العسكر والقطائع في هذه الناحية<sup>(٧)</sup> . وكانت الفسطاط في أول أمرها مدينة متواضعة مشيدة باللبن لا يعلو بنيانها على الطابق الواحد<sup>(٨)</sup> ، وكان هذا يتفق مع حياة البساطة التي كان عليها المسلمون في ذلك

(١) القلقشندي : صبح ، ج٣ ص ٣٢٦

(٢) سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ٢١٧

(٣) سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ٢١٦

(٤) فريد شافعي : العمارة العربية ، ص ٣٤٧

(٥) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٥٨

(٦) عبد الرحمن زكي : الفسطاط وضاحتها - القطائع والعسكر ، ص ٥

(٧) عبد الرحمن زكي : الفسطاط وضاحتها ، ص ٥

(٨) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٠٤ ، فريد شافعي : العمارة العربية ، ج١ ص ٣٥٣

الوقت ، وكما جرت العادة لدى العرب اختط عمرى أول الأمر المسجد الجامع الذي عرف بتاج الجوامع وبالجامع العتيق<sup>(١)</sup> وبجامع عمرى بن العاص وقد ظل مسجد عمرى المسجد الجامع الوحيد بمصر في عصر الولاة إلى أن شيد الفضل بن صالح بن على العباسي أثناء ولايته على مصر من قبل الخليفة العباسي المهدي جامع العسكر سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م ، واخطت عمرى داره بجوار المسجد ، واخطت حول داره والمسجد أحياء العرب وقبائلهم وغيرهم من أقوام الفرس والروم الذين سبق لهم الدخول في الإسلام<sup>(٢)</sup> .

وما لبثت الفسطاط أن اتسعت وكثر العمران فيها وأصبح لها شأن كبير في تاريخ المدن الإسلامية فقد اتسعت المدينة وكثر فيها العمران وتغيرت أحوالها ، وتطور نظامها مع الزمن فبنيت فيها القصور والدور ، فقد بني عبد الله بن سعد بن أبي سرح والي مصر قسراً كبيراً عرف باسم قصر الحسن سنة ٢٥هـ/٦٤٥م<sup>(٣)</sup> ، كما ابتني مروان بن الحكم لنفسه بعد أن ولي الخلافة داراً عظيمة عند قدومه مصر سنة ٦٥هـ/٦٨٤م ، وشيد عبد العزيز بن مروان دار ضخمة أطلق عليها دار الذهب<sup>(٤)</sup> .

وبني بالفسطاط أيضاً الحمامات والميادين والأسواق ، فبني عبد العزيز بن مروان بها قيساريات العسل والحبال والبز ، وبني هشام بن عبد الله قيساريته التي تعرف بقيسارية هشام<sup>(٥)</sup> ، وهكذا شقت الفسطاط طريقها لأن تكون مدينة ذات حضارة وصارت مبانيها تتألف من أربع طبقات وخمس كالمناير ، يدخل إليها الضياء من الوسط وأنه يسكن الدار الواحدة نحو مائتي نفس<sup>(٦)</sup> .

وعلى الرغم من بناء عواصم أخرى بمصر مثل العسكر والقطائع إلا أن الفسطاط ظل لها مكان الصدارة ، وكانت تزدهم بالسكان وكان بها داران للصناعة - صناعة السفن - في الفسطاط وجزيرة الروضة .

(١) ابن دقماق: الانتصار ، ج٤ ص٥٩

(٢) المقرئزي : الخطط ، ج١ ص٢٩٦

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٣٥

(٤) محمد حمدي المناوي : مصر في ظل الإسلام ، ص١٠٨

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٣٦

(٦) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص١٩٧

وتعرضت الفسطاط للتخريب أكثر من مرة في سنة ١٣٢ هـ/٧٤٩م شهدت الحرب بين مروان بن محمد والعباسيين وأمر مروان بإحراقها<sup>(١)</sup> ، كما تعرضت للنهب عندما قدم محمد بن سليمان على رأس الجيوش العباسية سنة ٢٩٢ هـ/٩٠٤م بهدف القضاء على الدولة الطولونية إذ نهب أصحابه الفسطاط<sup>(٢)</sup> ، كما تعرضت للنهب على يد الجنود الفاطميين أثناء محاولاتهم في غزو مصر وأثناء حكمهم وخصوصاً زمن الخليفة الحاكم والظاهر<sup>(٣)</sup> ، وكذلك أثناء الصراع بين شاور وضرغام ، وعندما أمر شاور بإحراقها لمنع الجيش الصليبي من الاستيلاء عليها<sup>(٤)</sup>.

### بناء الجزيرة :

وهى مدينة إسلامية بنيت سنة ٢١ هـ/٦٤١م ، وقيل فرغ من بنائها سنة ٢٢ هـ/٦٤٢م ، وكان السبب في بنائها أن عمر بن العاص عندما رجع من الإسكندرية ونزل الفسطاط جعل طائفة من جيشه بالجزيرة خوفاً من عدو يغشاهم من تلك الناحية<sup>(٥)</sup> ، ولما استقر في الفسطاط أمر الذين خلفهم بالجزيرة أن ينضموا إليه، فرفضوا أن يتركوا أماكنهم، فكتب عمر إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك فكتب إليه الخليفة : "كيف رضيت أن تفرق عنك أصحابك ؟ لم يكن ينبغي لك أن ترضى لأحد من أصحابك أن يكون بينه وبينك بحر ، لا تدري ما يفجأهم ، فلعلك لا تقدر على غيبتهم حتى ينزل بهم ما تكره ، فاجمعهم إليك ، فإن أبو عليك وأعجبهم موضعهم ، فابن عليهم من فيء المسلمين حصناً"<sup>(٦)</sup> ، فعرض عمر ذلك عليهم ، وأخبرهم بكتاب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فامتنعوا من الخروج من الجزيرة ، فأمر عمر ببناء الحصن ، فبنى سنة ٢١ هـ/٦٤١م ، وتم بنائه سنة

(١) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٩٥

(٢) محمد حمدي المناوي : مصر في ظل الإسلام ، ص ١١٢

(٣) أحمد عبد الرزاق : تاريخ وأثار مصر ، ص ٦٧

(٤) المقرئزي : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٨٦

(٥) ابن دقماق : الانتصار ، ج ١ ، ص ١٢٦ ، المقرئزي : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٦

(٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٢٨

٢٢هـ/٦٤٢م وأمرهم عمر بالخطط بها<sup>(١)</sup>، وأسكنها العديد من القبائل العربية منها قبيلة أصبح من القحطانية، ويافع بن الحارث، وهمدان، وبني حجر<sup>(٢)</sup>.

### حلوان:

يقال أنها تنسب إلى حلوان بن بابليون بن عمر بن امرئ القيس بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكان حلوان بالشام<sup>(٣)</sup>.

وعندما وقع بمصر طاعون سنة ٧٠هـ/٦٨٩م خرج والي مصر في تلك الفترة عبد العزيز مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م)<sup>(٤)</sup> من مصر، ونزل بحلوان، فأعجبه، فأخذها سكناً، وجعل بها الحرس والأعوان والشرط، وبنى بها الدور والمساجد وعمرها أحسن عمارة، وبنى بها دار الأمانة<sup>(٥)</sup>، وشيد بها مقياساً للنيل سنة ٨٠هـ/٦٩٩م<sup>(٦)</sup>.

### العسكر ١٣٢هـ:

كانت الضاحية الأولى التي أنشأت بالفسطاط هي مدينة العسكر هي ثاني مدن مصر الإسلامية وقد أنشأت العسكر في شمال شرقي الفسطاط، في المنطقة المعروفة بالحمراء والقصوة<sup>(٧)</sup>، وقد أنشأت العسكر بعد تغلب العباسيين بقيادة صالح بن علي بن عبد الله العباسي على آخر الخلفاء الأمويين "مروان بن محمد" سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، وقد أنشئت العسكر في هذا الموضع أما لرغبة العباسيين في أن يتخذوا لأنفسهم مقراً لم يسبقهم إليه غيرهم، وأما لأن مروان ابن محمد قد أضرم حريقاً في الفسطاط خرب جانبا كبيراً منها<sup>(٨)</sup>، وكانت هذه المدينة قد أسست لإيواء العسكر العباسي فسميت بالعسكر وشيد

(١) هويدا رمضان: المجتمع، ج٢ ص ١١، ١٠.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١١٣، خورشيد: القبائل العربية، ص ٢٦٠، ٢٥٤.

(٣) المقرئ: الخطط، ج١ ص ٢٠٩.

(٤) الكندي: ولاة مصر، ص ٧٠.

(٥) الكندي: ولاة مصر، ص ٧٢، المقرئ: الخطط، ج١ ص ٢٠٩، هويدا رمضان: المجتمع في مصر، ص ٢٥٥.

(٦) ابن دقماق: الانتصار، ج٥ ص ٧٦، ٧٥، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤ ص ٦١١.

(٧) فريد شافعي: العمارة العربية، ج١ ص ٣٨٣.

(٨) المقرئ: الخطط، ج١ ص ٢٨٦.

فيها داراً للإمامة ، ومسجداً جامعاً عرف بجامع العسكر<sup>(١)</sup> ، وقد نزل ولاية مصر العباسيون في العسكر بعد تأسيسها<sup>(٢)</sup> ، وكانت مقراً لشرطة خاصة عرفت بالشرطة العليا ، وكانت مدينة ذات أسواق ودور عظيمة ومحال لم يبق منها إلا القليل<sup>(٣)</sup> .

وبعد تأسيس العسكر بقليل ورد كتاب أبو جعفر المنصور إلى يزيد بن حاتم يأمره بالتحول من العسكر إلى الفسطاط ، وذلك سنة ١٤٦هـ/٧٦٣م<sup>(٤)</sup> ، ويذكر المقرئزي "أنه في سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م أثناء ولاية السري بن الحكم أذن للناس في البناء في مدينة العسكر ، فامتدت مباني المدينة بالفسطاط وصارتا مدينة واحدة<sup>(٥)</sup> ، وكان من أهم الدور التي بنيت بالعسكر إلى جانب دار الإمارة دار كافور الإخشيدي التي بناها على بركة قارون وأنفق عليها مائة ألف دينار ، وسكنها سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م ، ثم انتقل منها بعد أيام لوباء وقع في غلمانها من بخار البركة"<sup>(٦)</sup> .

ومن المباني التي أنشأت بالعسكر قبة الهواء ، وهي دار شيدها حاتم بن هرثمة أحد ولاية مصر (١٩٤-١٩٥هـ/٨٠٩-٨١٠م)<sup>(٧)</sup> من قبل الخليفة الأمين العباسي ، على جبل المقطم وقد استمرت قائمة حتى عصر الطولونيين ، وقد شيدها من الحجارة وغيرها من مواد البناء<sup>(٨)</sup> .

وقد ظلت العسكر مقراً للولاية العباسيين ، حتى قدم أحمد بن طولون إلى مصر وأقام بها مدة ، ولما كثرت عساكره تحول عنها إلى مدينة القطائع التي بناها إلى الشمال الشرقي منها ، ولما خربت القطائع ونزلت الدولة الطولونية عاد ولاية مصر للنزول بالعسكر من جديد ، حتى دخل الفاطميون مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م ، وأسسوا مدينة القاهرة فتحول مركز الحكم إليها<sup>(٩)</sup> .

(١) المقرئزي : الخطط ، ج١ ص ٣٠٤ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج١ ص ١٣٣

(٢) الكندي : الولاية والقضاة ، ص ١٠٧

(٣) المقرئزي : الخطط ، ج١ ص ٣٠٥

(٤) الكندي : الولاية والقضاة ، ص ١١٥ ، ١١١

(٥) المقرئزي : الخطط ، ج١ ص ٣٠٤

(٦) هويدا رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية ، ج٢ ص ٢٤٩

(٧) الكندي : الولاية والقضاة ، ص ١٣٦

(٨) هويدا عبد العظيم رمضان : المجتمع المصري ، ج٢ ص ٢٤٩

(٩) المقرئزي : الخطط ، ج٢ ص ٢٦٤

## القطائع ٢٥٦هـ / ٨٧٠م :

استمر أحمد بن طولون بدار الإمارة بالعسكر حتى كثرت عساكره وعبيده ، وضافت بهم مدينة الفسطاط ، فأمر ببناء مدينة شرقي مدينة الفسطاط سنة ٢٥٦هـ / ٨٧٠م في المنطقة الواقعة بين جبل يشكر حد الفسطاط الشمالي وبين سفح جبل المقطم ، وكان هذا الموقع يعرف بقبة الهواء<sup>(١)</sup>.

اختلفت القطائع في تخطيطها عن مدينة الفسطاط فقد قسمت على أساس الطوائف والحرف ، فقد كانت كل قطيعه تعرف باسم من اتخذها سواء من تجمعهم رابطة الجنسية أو رابطة العمل ، فكانت للنوبة قطيعه ، وللروم قطيعه ، وللفراسين قطيعه ، والبرزين قطيعه والعطارين ، وسوق الشوائين ، وسوق الطباخين ، وهكذا كان لكل صنف من جميع الصنائع سوقا ، وأمر غلمانه أن يختطوا بها<sup>(٢)</sup> فبنوا حتى اتصل البناء بعمارة العسكر والفسطاط<sup>(٣)</sup> ، وذلك سميت بالقطائع ، وكانت القطائع أول مدينة بمعنى الكلمة أنشأت في وادي النيل في العصر الإسلامي<sup>(٤)</sup> ولم يقض إنشاؤها على الفسطاط أو العسكر ولم تكن العسكر والقطائع إلا ضاحيتين من الفسطاط أو امتداد لها<sup>(٥)</sup>.

ولم يكن تخطيط مدينة القطائع أو اسمها غريبا إذ كان يشبه إلى حد كبير تخطيط مدينة الفسطاط ، كما كان يطلق اسم القطائع على مدينة سامراء التي بناها المعتصم في العراق سنة ٢٢١هـ / ٨٣٦م<sup>(٦)</sup>.

وقد عمرت القطائع عمارة حسنة وكان يخترق المدينة شارع كبير يصل بين قصر ابن طولون وجامعه الذي شيده ، وجواره دار الإمارة في الجهة القبليية ، ولها باب من جدار الجامع يخرج منه إلى المقصورة المحيطة بمصلى الأمير إلى جوار المحراب ، وشملت القطائع

(١) البلوي : سيرة بن طولون ، ص ٥٢ ، المقرئزي : الخطط ، ج ١ ص ٣١٥ ، أبو المحاسن : النجوم ، ج ٣ ص ١٠

(٢) ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ص ١٢١ ، البلوي : سيرة ابن طولون ، ص ٥٤

(٣) المقرئزي : الخطط ، ج ١ ص ٣١٥ ، عبد الرحمن زكي : القاهرة ، تاريخها وأثارها ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٦

(٤) عبد الرحمن زكي : الفسطاط وضاحيتها ( القطائع والعسكر ) ، ص ٨٩

(٥) سيدة كاشف : أحمد ابن طولون ، ص ٢٤٢

(٦) حسن أحمد محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ، ص ١٧٤

المساجد الحسان والطواحين والحمامات والأفران ، وسميت أسواقها حسب السلع المباعة فيها<sup>(١)</sup>.

وكانت أهم الدور التي بنيت في القطائع قصر أحمد بن طولون ، الذي ألحق به ميدانا كبيرا يضرب منه بالصوالجة ، فأطلق علي القصر كله الميدان ، وقد عمل للميدان أبوابا وسمى كل باب باسم وهي :

- باب الميدان : ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش .
- باب الخاصة : لا يدخل منه إلا خاصته .
- باب الجبل : كان يلي الجبل المقطم .
- باب الحرم : لا يدخل منه إلا خادم خصي أو حرمه .
- باب الدرمون : نسبة إلى أحد الحجاب .
- باب وعناج : نسبة إلى حاجب آخر .
- باب الساج : وكان يفتح على الشارع الأعظم<sup>(٢)</sup> .

ولم تكن هذه الأبواب تفتح كلها إلا يوم العيد أو يوم عرض الجيش أو يوم الصدقة<sup>(٣)</sup> ، أما باقي الأيام فإن هذه الأبواب كانت تفتح في وقت محدد وتغلق في وقت محدد أيضا .

ومن المنشآت في القطائع أيضا بيت الذهب الذي بنى في عهد خماروية بن أحمد بن طولون وكانت جدرانه مطلية بطبقة من الذهب ، وجعل فيه صورا له وصور حظاياها والمغنيات بأحسن تصوير ، وجعل على رؤوسهم الأكاليل من الذهب الخالص ، وكان هذا البيت من عجائب مباني الدنيا<sup>(٤)</sup> .

(١) البلوي : سيرة ابن طولون ، ص ٥٤ ، المقرئزي : الخطط ، ج ١ ص ٣١٥

(٢) فريد شافعي : العمارة العربية ، ص ٤٢٥

(٣) أبو المحاسن : النجوم ، ج ٣ ص ٦١

(٤) أبو المحاسن : النجوم ، ج ٣ ص ٥٤

كما أقام خماريه أمام القصر بركة الزئبق ، بلغ طولها خمسين ذراعاً وعرضها خمسون ذراعاً ، وكانت مملوءة بالزئبق وجعلها للاسترخاء ، حيث جعل عليها سريراً من آدم - جلد . يحشى بالهواء لينام عليه ، وكان منظرها عجيباً في الليالي القمرية<sup>(١)</sup> ، وبنى خمارية الدكة وهى تضاهى قبة الهواء ، وجعل لها ستائر يتقى بها حر الصيف وبرد الشتاء<sup>(٢)</sup> ، كما بنى خمارية أيضاً دار الحريم ، ونقل إليها أمهات أولاد أبيه مع أولادهن وأفرده لكل واحدة حجرة واسعة وأنفق عليها أموالاً كثيرة<sup>(٣)</sup> .

وقد خربت القطائع على يد محمد بن سليمان الكاتب وذلك خلال عهد الخليفة المكتفى بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠١-٩٠٧م) حنقاً على بنى طولون عام ٢٩٢هـ/٩٠٤م وأبقى الجامع<sup>(٤)</sup> .

#### العباسة:

هى قرية فيما بين بلبيس والصالحية من أرض السدير لم تزل منتزهاً للوك مصر ، وبها وُلد العباس بن أحمد بن طولون فسماه لذلك أبوه العباس ، وُلد بها أيضاً الملك الأمجد تقي الدين عباس ابن العادل أبى بكر بن أيوب ، وكان الملك الكامل محمد بن العادل يقيم بها كثيراً ، ويقول "هذه تعلقو مصر إذا أقيمت بها أصطاد الطير من السماء ، والسماك من الماء ، والوحش من الفضاء ، ويصل الخبز من قلعة الجبل إلى بها فى قلعتى وهو سخن" ، وبنى بها دوراً ومناظر وبساتين ، وبنى بها أمراًء أيضاً عدة مساكن فى البساتين ، ولم تزل العباسة على ذلك حتى أنشأ الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الكامل المنزلة الصالحية فتلاشى حينئذ أمر العباسة ، وخربت المناظر فى عهد السلطان المملوكى عز الدين أيبك .

(١) ابن دقماق : الانتصار ، ج٤ ص ١٣١ ، أبو المحاسن : النجوم ، ج٣ ص ٥٥

(٢) المقرئى : الخطط ، ج١ ص ٣١٧

(٣) أبو المحاسن : النجوم ، ج٣ ص ٥٧ ، آدم مئز : الحضارة الإسلامية ، ج١ ص ٢٠٩

(٤) المقرئى : الخطط ، ج١ ص ٣٢٣

وسميت بالعباسة نسبة لبنت أحمد بن طولون عندما خرجت إلى هذا الموضوع مودعة لبنت أخيها قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون لما زفت إلى المعتضد بالله العباسي وضربت هناك فاستطابتها ثم بنت قرية فسميت باسمها<sup>(١)</sup> القاهرة ٣٥٩هـ:

ظلت مدينة الفسطاط عاصمه لمصر، وكانت مدينة الإقليم منذ الفتح الإسلامي لمصر، وكانت منزلا للأمرء، وكثر الناس بها وزادت عمارتها، ثم لما انقضت الدولة الإخشيدية في مصر سنة (٣٢٣-٣٥٨هـ/٩٣٥-٩٦٩م)، واختلت أحوال مصر بسبب الوباء والفتنة، سار الجيش الفاطمي بقياده جوهر الصقلي إلى مصر واستولى علي الفسطاط من بقايا الإخشيديين، واختط مدينة القاهرة<sup>(٢)</sup>.

وعدد المقرئزي موضع القاهرة فيذكر: "أنها كانت رملة فيما بين مصر وعين شمس، يمر بها الناس عند مسيرهم من الفسطاط إلى عين شمس، وهو يقع إلى الشمال من الفسطاط ويحدها من الشرق جبل المقطم، ومن الغرب خليج أمير المؤمنين"<sup>(٣)</sup>.

واختط جوهر القاهرة يوم السبت لست بقين من جمادى الآخر سنة تسع وخمسين وثلثمائة، واختطت كل قبيلة خطه عرفت بها<sup>(٤)</sup>، وكانت القاهرة قد نشأت كحصن ملكي، فكان قصر الخليفة وسطها محصنا بأبواب محددة<sup>(٥)</sup>.

وأراد جوهر أن يحصن المدينة وأن يعوق في الوقت نفسه عامه الشعب في كل من الفسطاط والعسكر والقطائع الوصول إلى القاهرة، فقد كان محظورا علي أي فرد اجتياز أسوار القاهرة إلا إذا كان من جند الحامية الفاطمية أو من كبار موظفي الدولة، وكان الدخول إليها لا يتم إلا بعد الحصول علي تصريح خاص<sup>(٦)</sup>، وعن طريق الأبواب الثمانية

(١) المقرئزي: الخطط، ص ٢٣٢

(٢) المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ٣٥٠

(٣) المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ٣٥٩

(٤) ابن دقماق: الانتصار، ج ٥، ص ٣٦، ٣٧

(٥) عبد الرحمن فهمي: أسوار القاهرة، ص ٤٦٩

(٦) عبد الرحمن فهمي: أسوار القاهرة، ص ٤٦٩

التي فتحها جوهر في السور، وكان سور القاهرة سميكا بحيث يستطيع أن يمر فوقه فارسان جنبا إلى جنب<sup>(١)</sup>.

وأبواب القاهرة هي :

- اثنان من السور الشمالي هما باب الفتوح وفي شرقه باب النصر.
- باب زويلة في السور الجنوبي ، وفي الغرب باب الفرج .
- بابا الضلع الشرقي هما باب البرقية ، وباب القراطين<sup>(٢)</sup>.
- وفي الضلع الغربي كان يوجد بابان هما باب القنطرة وباب سعادة<sup>(٣)</sup>.

وكان لموقع القاهرة مميزات عديدة في مقدمتها أن نهر النيل يحيط بضاحتها الفسطاط من الغرب ، وأتاح ذلك لسكانها فرصه إقامة العديد من القصور علي شاطئ النيل<sup>(٤)</sup> ، كما كانت محصنه بحصون طبيعية كجبل المقطم في الجنوب الشرقي ونهر النيل في الغرب ، وحصون غير طبيعية تتمثل في الأسوار التي أقيمت حول المدينة<sup>(٥)</sup>.

وبصفة عامه فقد دل موقع القاهرة علي نظره صائبة رغم اعتراض المعزلدين الله الفاطمي علي اختيار موضعها<sup>(٦)</sup> ، فكان بعدها النسبي عن النهر يحميها من خطر الفيضان ، ويؤكد ذلك ابن سعيد بقوله: " أن بعد القاهرة عن مجري النيل لئلا يصادرها ويأكل ديارها"<sup>(٧)</sup>.

وقد اختط طريق عام وسط المدينة من باب زويلة جنوبا ويتصل بمدينة الفسطاط مارا فيها بين القصرين<sup>(٨)</sup> حتى باب الفتوح ، وكان يوصل إلى الفضاء الواقع في الشمال وإلى الجنوب الشرقي من قصر الخليفة يقع الجامع الأزهر الذي شرع جوهر في بنائه سنه ٣٥٩هـ/٩٧٠ م ، وأتم بنائه سنه ٣٦١هـ/٩٧٢ م ليكون المسجد الرسمي للقاهرة ، وذلك بعد

(١) المقرئزي : الخطط ، ج١ ص ٢٧٧

(٢) القلقشندي : صبح ، ج٣ ص ٢٥٣

(٣) المقرئزي : الخطط ، ج١ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، علي مبارك : الخطط التوفيقية ، ج٢ ص ٩٧

(٤) المقرئزي : الخطط ، ج٢ ص ١١٧

(٥) أبوشامة : الروضتين ، ج١ ق ٢ ص ٦٨٧

(٦) القلقشندي : صبح ، ج٣ ص ٣٥٥ ، المقرئزي : أتعاض الحنفا ، ج١ ص ١١٢

(٧) ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة ص ٢٥

(٨) المقرئزي : الخطط ، ج٢ ص ٣٨٣ ، حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ص ١١١

أن وضع أساس القاهرة الحوانيت والأسواق مالا يقل عن عشرين ألف دكان ، وكان بها رباطات وحمامات وأبنية أخرى<sup>(١)</sup> .

وقد عرفت هذه المدينة في أول الأمر باسم المنصورية تيمنا باسم المنصورية التي أنشأها المنصور بالله ثالث الخلفاء الفاطميين خارج مدينة القيروان بشمال إفريقيا<sup>(٢)</sup> ، ولم تعرف بالقاهرة إلا بعد أربع سنوات بعد أن حضر الخليفة المعز إلى مصر ورأى من قراءاته الخاصة للطالع أن هذه التسمية فال خير إذ رأى أن أسم القاهرة مشتق من القهر والظفر<sup>(٣)</sup> .

ويذكر أن سور القاهرة الذي بناه جوهر لم يعمر أكثر من ثمانين سنة ، إذ كان قد تهدم في عصر المستنصر بالله<sup>(٤)</sup> ، فاستبدل به بدر الجمالي وزير المستنصر سورا آخر ، وذلك بعد أن وسع رقعة القاهرة بمقدار ١٥٠ متر إلى الشمال من السور القديم<sup>(٥)</sup> ، وحوالي ثلاثين متر إلى الشرق ومثلها إلى الجنوب<sup>(٦)</sup> ، وقد تم تشييد هذا السور فيما بين سنتي ٤٨٠ - ٤٨٥ هـ<sup>(٧)</sup> ، وبني هذا السور من الحجر وبقي منه ثلاثة أبواب هامة هي : باب النصر وباب الفتوح وباب زويلة ، وأقدمها باب النصر ويعرف بباب المعز<sup>(٨)</sup> .

وبعد انتهاء الدولة الفاطمية واستيلاء صلاح الدين علي مقاليد الحكم في مصر سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م تغير صفة القاهرة فنقلها عما كانت عليه من الصيانة وجعلها مبتذلة لسكن العامة والجمهور<sup>(٩)</sup> .

(١) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٤٨

(٢) ابن دقماق : الانتصار ، ج ٥ ص ٣٥

(٣) المقرئزي : الخطط ، ج ١ ص ٣٧٧

(٤) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص ٨٩ ، عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة ، ص ٤٦٩

(٥) أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ، القاهرة ١٩٦٥ ، ج ١ ص ٢٤

(٦) عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة ، ص ٤٦٩

(٧) ابن الصيرفي : الإشارة إلى من تولى الوزارة ، ص ٩٧

(٨) عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة ، ص ٤٧٤

(٩) المقرئزي : الخطط ، ج ١ ص ٣٦٤